

الجبهة الشعبية وانصارها في معسكر اليسار الفلسطيني ككل. ولربما امكن، بعد ايراد هذه الملاحظة الاخيرة، تبرير الاختيار الذي مارسناه في هذا الجزء من البحث، المكرس لنقاش الكيفية التي يفسر بها اليسار الفلسطيني اسباب الانقسام، وذلك بالاقصاء على مناقشة مواقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، دون سواها. والواقع ان ثمة سببين وراء هذا الاختيار: الاول، ان الجبهة الشعبية هي الفصيل الماركسي الفلسطيني الذي تزعم، تاريخياً، ابرز محاولتين للانقسام في حركة المقاومة الفلسطينية: الاولى في العام ١٩٧٤، عبر تشكيل ما كان يسمى، في اواسط السبعينات، بجبهة الرفض؛ والثانية، تلك المحاولة التي وقعت قبل نحو عامين، بتشكيل ما يسمى بـ «جبهة الانقاذ». ولا شك في ان كل مطلع على ملابسات تأسيس هاتين الجبهتين يعرف ان الجبهة الشعبية كانت، في كلتا الحالتين، بما تتمتع به من وزن، تمثل «بيضة القبان» في تشكيل هاتين الجبهتين. اما السبب الثاني، وهو الاهم، فيتأتى من كون ان التنظير السياسي والايديولوجي الذي قدمته الجبهة الشعبية يشتمل على جميع العناصر النموذجية التي تلائم خطة هذا البحث وأهدافه. ذلك ان الخطاب السياسي للجبهة الشعبية هو خطاب الانقسام على الساحة الفلسطينية بامتياز، الذي شكل المرجعية الايديولوجية لكل المحاولات الانقسامية على الساحة الفلسطينية فيما بعد^(٣٣).

ففي شهر آب (اغسطس) من العام ١٩٧٤، كان الامين العام للجبهة الشعبية، د. جورج حبش، يتحدث في مؤتمر صحافي عقده في بيروت، معلناً عن انسحاب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من مشاركتها في عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد قال، في تبرير هذا الموقف، كلاماً كثيراً يمكن تلخيصه بعبارة واحدة: «ان الجبهة الشعبية لا تريد ان تتحمل المسؤولية في التغطية - او المشاركة - في نهج التسوية الذي تسير عليه منظمة التحرير [الفلسطينية] وتتبناه»^(٣٤). ولاكثر من سبب، تبدو العودة لاستحضار تلك الفترة التي شهدتها القضية الفلسطينية، وتحديداً العام ١٩٧٤، ضرورية، ليس فقط من اجل معرفة الاسباب التي ادت الى حدوث اول انقسام سياسي، بالمعنى التاريخي، في اطار حركة المقاومة الفلسطينية، وانما لكونه وقع، ولأول مرة، في ذلك العام، ما يشبه الانقلاب الذي طالت تأثيراته معظم العناصر التي تكون بنية المسرح السياسي الفلسطيني، والعربي، في لحظة تاريخية شكلت منعطفاً هاماً في تاريخ الثورة الفلسطينية، والوضع العربي، والذي يصعب، بدون تحديد النتائج التي اسفر عنها هذا التحول، فهم وتفسير الملابسات التي أدت الى حدوث الانقسامات داخل صفوف المقاومة الفلسطينية، فيما بعد. ففي ذلك العام، تحددت كل الملامح الاساسية في السياسة، والفكر، وفي الاطار العربي ككل، للعناصر المتداخلة، التي اسهمت بشق الحركة الوطنية الفلسطينية. وهذه الملامح، التي بدأت تظهر جلياً منذ العام ١٩٧٤، يمكن التعبير عنها بظهور ثلاثة عوامل رئيسية:

أولاً: في العام ١٩٧٤ تبلور الفكر السياسي الفلسطيني على نحو من الوضوح لم يشهده هذا الفكر قبل ذلك في أي من مراحل السابقة. بل ونكاد نجزم بأنه في تلك السنة تمت صياغة الفكر السياسي الفلسطيني باتجاهاته كافة، بصورة نهائية، وعلى نحو يجعل من ذلك السجال الايديولوجي والسياسي الذي شهدته الساحة الفلسطينية، وهو اخصب سجال شهدته المقاومة الفلسطينية، مرجعاً لا غنى عنه في دراسة التطور اللاحق للفكر السياسي الفلسطيني، والممارسة السياسية الفلسطينية، ومنهاجاً لفهم الكثير من القضايا اللاحقة وتفسيرها.

ثانياً: يعتبر العام ١٩٧٤، بحق، تاريخاً لبداية مرحلة الصعود الفلسطينية التي امتدت حتى العام ١٩٨٢. وفي هذا المجال، لا نبتعد من الصواب اذا قلنا ان منظمة التحرير الفلسطينية، وهي الاطار العريض الذي يجمع قوى وفصائل الثورة، شهدت ولادتها الحقيقية في ذلك العام؛ وذلك